يقــول اللــه عــز وجــل: ((**والعصــر. إن الإنســان لفــي خسر**)) فمـا المـراد بالعصـر؟ قيـل: إن المـراد بالعصـر آخـر النهار، لأن آخر النهـار أفضـله، وصـلاة العصـر تسـمى الصـلاة الوسطى، أي: الفضلى كما سماها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك. وقيل: إن العصر هو الزمان، وهذا هـو الأصـح أن العصر هو الزمان، أقسم الله به لمـا يقـع فيـه مـن اختلاف الأحوال، وتقلبات الأمور، ومداولة الأيام بين الناس وغيـر ذلـك مما هو مشاهد في الحاضر، ومتحدث عنه في الغائب، فالعصر هو الزمان الذي يعيشه الخلق، وتختلـف أوقـاته شـدة ورخـاء، وحرباً وسلماً، وصـحة ومرضـاً، وعملاً صـالحاً وعملاً سـيئاً إلـى غير ذلك مما هـو معـروف للجميـع. وأقسـم اللـه بـه علـى أي شيء؟ على قوله: ((**إن الإنسان لفي خسر**)): والإنسان هنا عام، لأن المراد به الجنس، وعلامة الإنسان الـذي يـراد بـه العموم أن يحل محل " **ال** " كلمة " **كل** " فهنا لـو قيـل: كـل إنسان في خسر لكان هذا هو المعنى. ومعنى الآية الكريمة أن الله أقسم قسماً على حـال الإنسـان أنـه فـي خسـر أي: فـي خسران ونقصان في كل أحواله، لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا من استثنى الله عز وجل. وهذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات، الأول: القســم، والثــاني: " **إنّ** " والثــالث: " **اللام** "، وأتــى بقوله ((**لفي خسر**)) ليكـون أبلـغ مـن قـوله: " **لخاسـر** " وذلك أن " **في** " للظرفية فكأن الإنسان منغمس في الخسر، والخسران محيط به من كل جانب. ((إلا الذين آمنوا وعملـوا الصالحات وتواصـوا بـالحق وتواصـوا بالصـبر)): اسـتثنى اللـه سبحانه وتعالى هؤلاء المتصفين بهذه الصفات الأربع: **الصــفة الأولى**: الإيمان، الإيمان الذي لا يخالجه شك ولا تـردد بمـاذا؟ بما بينه الرسول صلى الله عليه وعلى آلـه وسـلّم حيـن سـأله جبريـل عـن الإيمـان قـال: (**أن تـؤمن بـالله، وملائكتـه، وكتبه، ورسله، واليـوم الآخـر، وتـؤمن بالقـدر خيـره وشره**). وشرح هذا الحديث يطول لو تكلمنا عليه الآن، لكنـه قد تكلمنا عليه في مواطن كثيرة، فالذين آمنـوا بهـذه الأصـول الستة هم المؤمنون، ولكن يجب أن يكون إيمانـاً لا شـك معـه ولا تردد، بمعنـى: أنـك تـؤمن بهـذه الأشـياء وكأنـك تراهـا رأي

العين، والناس في هذا المقام ثلاثة أقسام: **القسم الأول**: مؤمن خالص إيماناً لا شك فيه ولا تردد. **والقسم الثاني**: كافر جاحد منكر. **والقسم الثالث**: متردد. فمن الناجي من هؤلاء الأقسام الثلاثة؟ الناجي القسم الأول الذي يؤمن إيماناً لا تردد فيه، يؤمن بالله، بوجوده، بأسمائه بصفاته، بألوهيته، وربوبيته، وغير ذلك مما هو معلوم من صفات الله جل وعلا، ويؤمن بالملائكة وهم عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور، وكلفهم بأعمال منها ما هو معلوم، ومنها ما ليس بمعلوم، فجبريل عليه الصلاة والسلام مكلف بالوحي ينزل به من عند الله إلى الأنبياء والرسل، وميكائيل مكلف بالقطر والنبات يعني: وكله الله على المطر وكل ما يتعلق بالمطر وعلى النبات، وإسرافيل: موكل بالنفخ في الصور، ومالك: موكل بالنار، ورضوان موكل بالجنة، ومن الملائكة من لا نعلم أسمائهم ولا نعلم أعمالهم أيضاً، لكن جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه ما من موضع أربع أصابع في السماء إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع، أو ساجد، كذلك نؤمن بالكتب التي أنزلها الله على الرسل عليهم الصلاة والسلام، ونؤمن بالرسل الذين قصهم الله علينا، نؤمن بهم بأعيانهم، والذين لم يقصهم علينا نؤمن بهم إجمالاً؛ لأن الله لم يقص علينا جميع أنباء الرسل، قال الله تعالى: ((**منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**)). واليوم الآخر هو يوم البعث يوم يخرج الناس من قبورهم للجزاء حفاة، عراة، غرلاً، بهماً، فالحفاة يعني الذين ليس عليهم نعال ولا خفاف أي: أن أقدامهم عارية، والعراة: الذين ليس عليهم ثياب، والغرل: الذين لم يُختنوا، والبهم: الذين ليس معهم مال يحشرون كذلك، ولما حدث النبي عليه الصلاة والسلام بأنهم عراة قالت عائشة: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: (**الأمر أعظم من ذلك**) أي من أن ينظر بعضهم إلى بعض، لأن الناس كل مشغول بنفسه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مما يكون بعد الموت، فيجب أن تؤمن بفتنة القبر أي: بالاختبار

الذي يكـون للميـت إذا دفـن وتـولى عنـه أصـحابه، فـإنه يـأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه، وتؤمن كـذلك بـأن القـبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة مـن حفـر النـار، أي أن فيه العذاب أو الثـواب، وتـؤمن كـذلك بالجنـة والنـار وكـل مـا يتعلق باليوم الآخر فـإنه داخـل فـي قولنـا (**أن تؤمن بـالله واليوم الآخر**)، والقدر: تقدير الله عز وجل يعنـي: يجـب أن تؤمن بأن الله تعالى قدر كل شيء وذلك أن اللـه خلـق القلـم فقال له: اكتب. قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلـى يوم القيامة، فجرى في تلـك السـاعة بمـا هـو كـائن إلـى يـوم القيامة، إذاً فالإيمـان فـي قـوله: ((إلا الـذين آمنـوا)) يشـمل الإيمـان بالأصـول السـتة الـتي بينهـا الرسـول عليـه الصـلاة والسلام. أما قوله: ((**وعملوا الصالحات**)) فمعنـاه: أنهـم قاموا بالأعمال الصالحة: من صلاة، وزكاة، وصيام، وحـج، وبـر للوالدين، وصلة للأرحام وغير ذلك فلم يقتصروا على مجرد ما فـي القلـب بـل عملـوا وأنتجـوا و((**الصالحات**)) هـي الـتي اشـتملت علـى شـيئين: **الأول**: الإخلاص للـه عـز وجـل. **والثاني**: المتابعة للرسـول عليـه الصـلاة والسـلام. وذلـك أن العمل إذا لـم يكـن خالصـاً للـه فهـو مـردود، قـال اللـه تبـارك وتعالى في الحديث القدسي الذي يرويه النبي صلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم قـال اللـه: (**أنـا أغنـى الشـركاء عـن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتـه وشركه**)، فلو قمت تصلي مراءاة للناس، أو تصدقت مراءاة للناس، أو طلبت العلم مراءاة للناس، أو وصلت الرحم مراءاة للناس أو غير ذلك. فالعمل مردود حـتى وإن كـان صـالحاً فـي ظاهره. كذلك الإتباع لو أنـك عملـت عملاً لـم يعملـه الرسـول عليه الصلاة والسلام وتقربت به إلى الله مع الإخلاص لله فإنه لا يقبل منك لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قـال: (**من عمل عملاً ليـس عليـه أمرنـا فهـو رد**). إذاً العمـل الصـالح مـا جمـع وصـفين: الأول؟ الإخلاص للـه . والثـاني؟ المتابعـة للرسـول صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم. ((**وتواصوا بالحق**)) أي: صـار بعضـهم يوصـي بعضـاً بـالحق. والحق: هو الشرع. يعني كل واحد منهـم يوصـي الآخـر إذا رآه

مفرطاً في واجب. أوصاه، قال: يا أخـي قـم بـالواجب، إذا رآه فاعلاً لمحـرم أوصـاه قـال: يـا أخـي اجتنـب الحـرام، فهـم لـم يقتصروا على نفع أنفسهم بل نفعوا أنفسهم وغيرهـم، تواصـوا بالحق، الحق هنا بمعنى ايش؟ الشرع، يوصي بعضهم بعضاً به. ((**وتواصوا بالصبر**)) والصبر حبـس النفـس عمـا لا ينبغـي فعله، وقسّمه أهل العلم إلـى ثلاثـة أقسـام فقـالوا إن الصـبر: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقـدار الله، ثلاثة أقسام. الصبر على الطاعة، كثير مـن النـاس يكـون فيه كسل عن الصلاة مع الجماعة مثلاً، لا يذهب إلـى المسـجد يقول أصلي في البيت وأديت الواجب فيكسل نقـول: يـا أخـي أصبر نفسك، احبسها كلفها على أن تصلي مع الجماعـة. كـثير من الناس إذا رأى زكاة ماله كـثيرة شـح وبخـل وصـار يـتردد، أُخرج هذا المال الكـثير، أو أتركـه وبعـدين أطلعـه، ومـا أشـبه ذلك، نقول: يا أخي اصبر نفسك، كلفهـا علـى إخـراج الزكـاة، وهكذا بقية العبادات فإن العبـادات كمـا قـال اللـه تعـالى فـي الصلاة: ((**وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**)). أكـثر عبـاد الله تجد أن العبادات عليهم ثقيلة، فهم يتواصون بالصبر، اصبر على الطاعة، لا تمل لا تكسل. كذلك الصبر عن المعصية بعض الناس مثلاً تجره نفسه إلى أكسـاب محرمـة إمـا بالربـا، وإمـا بالغش والكذب، وإما بالتدليس أو بغير ذلك من أنـواع الحـرام فنقول: اصبر، أصبر نفسك لا تتعامل على وجـه محـرم. بعـض الناس أيضاً يبتلى بالنظر إلى النساء تجده ماشـياً فـي السـوق وكل ما مرت امرأة أتبعها بصره فنقول: يا أخـي اصـبر، اصـبر نفسـك عـن هـذا الشـيء. علـى أقـدار اللـه، يصـاب الإنسـان بمرض في بدنه، يصاب الإنسان بفقد شيء مـن مـاله، يصـاب الإنسان بفقد أحبته فيجـزع، ويتسـخط، ويتـألم فيوصـون فيمـا بينهـم، اصـبر يـا أخـي هـذا أمـر مقـدر والجـزع لا يفيـد شـيئاً، واستمرار الحزن لا يرفع الحزن، اصبر، قدر أن هذا الشيء لم يكن اصـبر، لأن مثلاً الإنسـان فقـد مليـون ريـال فحـزن لـذلك وتعذر منها ماذا نقول له؟ نقول اصـبر يـا أخـي، وقـدر أن هـذا المليون لم يوجد، ألست قد خرجت من بطن أمك ليس عليـك ثياب؟ قدر أن هـذا مـا كـان. كـذلك أيضـاً الأولاد، مثـل إنسـان

امتحن بموت ابنه نقول: يا أخي اصبر، قـدر أن هـذا الابـن لـم يُخلق، ثم كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام لإحدى بنـاته: (**مرها فلتصبر ولتحتسب، فإن لله مـا أخـذ، ولـه مـا أعطى**). الأمر كله لله، ما هو له، فإذا أخذ اللـه تعـالى ملكـه كيف تعتـب علـى ربـك؟ كيـف تتسـخط؟ فهـذه أنـواع الصـبر: الأول: على طاعة الله. الثـاني: علـى معاصـي اللـه. والثـالث: على أقدار الله. وأيها أشق على النفوس؟ هـذا يختلـف، بعـض الناس يشـق عليـه القيـام بالطاعـة وتكـون ثقيلـة عليـه جـداً، وبعض الناس بالعكس الطاعة هينة عليه، لكـن تـرك المعصـية صعب، شاق يشق عليه مشـقة كـبيرة، وبعـض النـاس يسـهل عليه الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، لكن لا يتحمـل الصبر على المصائب، يعجز حتى إنه قد تصل به الحال إلى أن يرتد ـ والعياذ بالله ـ كما قال الله تعالى: ((**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خيـر اطمـأن بـه وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسـر الـدنيا والآخـرة ذلك هو الخسران المبين**)). إذاً نأخـذ مـن هـذه الآيـة أن الله سبحانه وتعالى أكد بالقسم المؤكـد بـإنّ، واللام أن جميـع بني آدم في خسر، والخسر محيط بهم من كل جـانب، إلا مـن اتصــف بهــذه الصــفات الأربــع: الإيمــان، والعمــل الصــالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصـبر. قـال الشـافعي ــ رحمـه الله ــ: " **لو لم ينـزل اللـه علـى عبـاده حجـة إلا هـذه السـورة لكفتهـم** ". أي: كفتهـم موعظـة وليـس كفتهـم تشريعاً، لأن ما فيها شيئا من التشريع، ما فيها طهارة ولا صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صـيام، لكـن كفتهـم موعظـة، كـل إنسـان عاقل يعرف أنه في خُسر إلا إذا اتصف بهـذه الصـفات الأربـع، فإنه سوف يحاول بقدر ما يسـتطيع أن يتصـف بهـذه الصـفات الأربع.